بسم الله الرحمن الرحيم

الشباب والحب (1)

قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف:١٣].

نحن في الخطبة الثانية عشرة من سلسلة قضايا الشباب, تحدثنا: لماذا هذه السلسلة ، الشباب في القرآن الكريم، الشباب في حديث سيدنا محمد ﷺ، الشباب والعلم، الشباب والعمل، الشباب والمسجد، الشباب والعفة، الشباب ووسائل الاتصال الحديثة، الشباب وبر الوالدين, وحديث اليوم عن الشباب والحب.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] وقال: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران:٣١].

وفي القرآن الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المائدة:٤٢], و ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢], و ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥], ﴿و إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة:٤], و ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦], و ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران:١٥٩], و ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾ [الصف:٤].

وفيه: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنعام:١٤١], و ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥], و ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ﴾ [النساء:١٤٨], ﴿و إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٧], و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠], و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨], و ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦], و ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل:٢٣], و ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢].

الحب في اللغة أصله الصفاء؛ لأن العرب تقول لصفاء الأسنان وبياضها: حَبَبُ الأسنان, ومعنى المحبة والحب: غليان القلب عند تذكر المحبوب ولقائه.

وقيل: إن المحبة مشتقة من اللزوم والثبات, تقول العرب: أحبَّ البعير: إذا برك فلم يقُم، فكأن المحب قد لزَم قلبه محبوبه فلم يرم عنه انتقالاً, هذا وقد أطلقت العرب على الحب قريباً من ستين اسماً؛ إذ كانت عادتهم في كل ما يكثر خطرُه ويعظم الاهتمام به أنهم يتفننون في الإكثار من أسمائه فمن أسمائه عندهم:

المحبة, العلاقة, الهوى, الصبابة, الشغف, الوجد, الكلف, التَّتَيُّمُ, العشق, الجوى, الدَّنف, الشوق, الحنين, اللوعة, الودّ, الخُلَّةُ, الغرام, الهيام, الوله ... وغيرها.

وقد ورد ذكر الحب في القرآن الكريم في قريب من مائة موضع، وفي كتب السنة الأصول في قريب من ألف موضع وهي تتناول:

حبّ الله، حب رسول الله ﷺ، حب المسلمين بعضهم بعضاً، حب الوالدين لأولادهما، حب الأولاد لآبائهم، حب الراعي رعيته، حب الزوجين بعضِهما بعضاً، وأخيراً الحبُّ الذي ينشأ بين رجلٍ وامرأة ليسا متزوجين, وأحدثكم اليوم عن الأقسام الأولى لأترك الحديث عن القسم الأخير- أعني: الحب الذي ينشأ بين رجل وامرأة ليسا متزوجين - إلى خطبة الأسبوع القادم بإذن الله.

ففي حب الله تعالى: كان سيدنا محمد ﷺ يقول: « ثلاث من كُنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان»؛ أولها: «أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما»[1]

وكان ﷺ يقول: «أحبوا الله لما يغذوكم به»[2]

وجاء في الخبر: **(يا داود أحبني وأحب من يحبني وحببني إلى عبادي قال: يا رب إني أحبك وأحب من يحبك فكيف أحبِّبُك إلى عبادك؟ قال: ذكِّرهم بآلائي ونعمائي)**[3].

وكان رسول الله ﷺ يتحنثُ في الغار الليالي ذوات العدد حتى قالت قريش: إن محمداً عشق ربه[4] .

وهذا هو سيدنا أبي بن كعب ﷺ الصحابي الحافظ القارئ يدعوه ﷺ ويقول: «يا أُبي, اقرأ علي سورة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة:١]» يقول: يا رسول الله أقرأ

---

(1) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (16), ومسلم في "صحيحه" برقم (166) من حديث أنسٍ ﷺ .

(2) أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (3789) من حديث ابن عباس **ب** .

(3) عدة الصابرين1/49

(4) إحياء علوم الدين2/280.

عليك وعليك أُنْزل؟! فيقول: «إن الله أمرني أن أسمعها منك». قال أبي: وسماني لك؟ قال:« نعم», قال: فبكى أبي[5]

بكى أبيٌّ لأن حبيبه ذكر اسمه, إنه حب الله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]

وأما حب رسول الله ﷺ: فقد سئل سيدنا علي ﷺ: كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ ؟ قال: كان رسول الله ﷺ أحبَّ إلينا من أموالنا وأولادنا وآبائنا وأمهاتنا، وأحبَّ إلينا من الماء البارد على الظمأ[1] .

وسيدنا أنس ﷺ يقول: ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبي رسول الله ﷺ ثم يبكي[2]

وسيدنا أبو هريرة ﷺ يقول: ما رأيت شيئاً أحسنَ من رسول ﷺ , كأن الشمس تجري في وجهه[3].

وسيدنا جابر بن سمرة ﷺ يقول: رأيت رسول الله ﷺ في ليلةِ إضحيان – يعني مُقمرة – وعليه حلّة حمراء، فجعلت انظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر[4].

والرُبيّع بنت معوّذ رضي الله عنها يقال لها: صفي لنا رسولَ الله ﷺ , فتقول للسائل: يا بُنيّ, لو رأيتَه رأيت الشمس طالعة[5] .

وزيد بن الدَّثِنَّة ﷺ تأخذه قريش لتضرب عنقه فيقول له أبو سفيان – وكان يومها مشركاً –: يا زيد أسألك بالله، أتحبُ أن محمداً الآن عندنا مكانك تُضْرَبُ عنقهُ وأنك في أهلك آمنٌ من القتل؟

فيقول زيد: والله ما أحبُ أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة وأني جالسٌ في أهلي, فقال أبو سفيان: ما رأيت أحداً من الناس يحب أحداً كحبِّ أصحاب محمدٍ محمداً![6]

---

(5) أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (3809), ومسلم في "صحيحه" برقم (1901).

(1) ذكره القاضي عياض في "الشفا" ص467.

(2) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (13267), وابن سعد في "الطبقات" 7/20.

(3) أخرجه أحمد في "مسنده" برقم (8943), والترمذي في "جامعه" برقم (3648).

(4) أخرجه الترمذي في "جامعه" برقم (2811).

(5) أخرجه الدارامي في "سننه" برقم (60).

ولئن عجب أبو سفيان قديماً فقد عجب نابليون بعده ليقول: إني أعجب كيف استطاع محمد بهذه الفترة البسيطة من الزمن أن يغيّر وجه المنطقة بل وجه العالم القديم!

فيجيبه علماء المسلمين: لقد فعل الحبُّ فعلته في قلوب أصحابه ونفوسهم.

إن الحبَّ أيها الإخوة ليفجر في النفس الإنسانية عجائب السلوك وغرائب المعاني المقدسة الراقية, ويفجر أيضاً معاني التضحية والإيثار، وليس شيء يخلّص الإنسانَ من معايبه النفسية والسلوكية مثلَ الحب.

ولكن أي حب؟ إنه حب الله وحب رسوله وحبٌّ للخلق في الله.

أما الليالي الحمراء, وأما اللقاءات الشهوانية المحرمة, وأما الصور الماجنة, وأما الغانيات الكاسيات العاريات, وأما الكؤوس التي تدار... فهذه صورٌ لا علاقة لها بالحبّ لا من قريب ولا من بعيد.

ولئن عجب أبو سفيان ونابليون قديماً فقد عجب العالم الغربي بأكمله قبل أشهر من ردة فعل العالم الإسلامي تجاه تلك الصور التي رُسِمَتْ في حق سيدنا محمد ﷺ.

عجب العالم الغربي: لماذا يتحرك العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه لأجل صورة؛ لأنهم لا يعرفون ماذا يمثل لنا سيدنا محمد ﷺ , ولأنهم لا يعرفون الحب الذي نعرفه تجاه سيدنا محمد ﷺ.

روى ابن عساكر عن بلال ﷺ أنه لما نزل بداريا بعد وفاة رسول الله ﷺ رأى النبي ﷺ في المنام وهو يقول: «ما هذه الجفوة يا بلال؟ أما آن لك أن تزورني؟»، فانتبه بلال حزيناً خائفاً، فركب راحلة وقصد المدينة، فأتى قبر النبي ﷺ فجعل يبكي ويمرغ وجهه بترابه, فأقبل الحسن والحسين رضي الله عنهما، فجعل بلال يضمهما ويقبّلهما, فقالا: نتمنى نسمعُ أذانك الذي تؤذن به لرسول الله ﷺ في المسجد, فعلا سطحَ المسجد ووقف موقفه الذي كان يقف فيه, فلما قال: الله أكبر الله أكبر ارتجت المدينة، فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله, ازدادت رجتها فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، خرجت النساء من خدورهن وقالوا: أبُعِثَ رسول ﷺ ؟ فما رؤي يومٌ أكثرَ باكياً ولا باكية بالمدينة بعده ﷺ أكثرَ من ذلك اليوم[1].

ولما احتُضر بلال نادت امرأته: واحزناه، فقال لها: واطرباه, غداً ألقى الأحِبَّة, محمداً وصحبه.

---

(6) أخرجه أبو نعيم في "معرفة الصحابة" برقم (2999) الترجمة (1022) بهذا اللفظ, والطبراني في "الكبير" برقم (5284) بنحوه , كلاهما عن عروة بن الزبير. وأصل الخبر في "صحيح البخاري" برقم (3045).

(1) "تاريخ مدينة دمشق" لابن عساكر 7/137.

أيها الإخوة: إنه الحبُّ! حبُّ الله وحب رسوله.

إن أهل التربية الروحية يقولون: الوصول إلى الله تعالى له طريقان: طريق الحبّ, وطريق المجاهدة, ومن دلّك على الحب فقد أراحك، ومن دلّك على المجاهدة فقد أتعبك.

يا شباب المسلمين:

إن أكبر فاجعة يصاب بها العالمُ الإسلامي هي فتور هذا الحب المقدس في قلوب عدد من المسلمين ؛بسبب إساءتهم لدينهم, ومخالفتهم أمر نبيهم, وقبولهم البدائل الشرقية أو الغربية عن رسول الله ﷺ , هناك ينطفئ بريقُهم, وتضيعُ مبادؤهم ويتخلفون عن ركب الأمم, عندما يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير يقال لهم: اهبطوا.....!

أيها الإخوة:

هذا هو شيءٌ من الحديث عن حبّ الله وحبّ رسول الله ﷺ , ثم هناك حديث طويلٌ في الإسلام عن حب المسلمين بعضهم بعضاً فلا يؤمن أحدهم حتى يحبَّ لأخيه ما يحب لنفسه[1] ، وحديثٌ أطولُ عن حبِّ المسلم أهلَه: أولاده، آباءه، أرحامه، زوجه، أصحابه.

وحديثٌ طويل آخر عن حبِّ الراعي رعيته, والرعية راعيَها, ولا يسع الوقت لبسط هذه الأنواع غير أني سأختِمُ الخطبة بحادثة تنبيك عن حبِّ الراعي رعيته في الإسلام:

استأذن معاويةُ بن أبي سفيان رضي الله عنه والي دمشق أميرَ المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه في غزو بلاد الروم بحراً, فسأل عمرُ عمرَو بن العاص عن البحر: أن صف لي البحر فكتب له يقول:

يا أمير المؤمنين, إني رأيت البحر خلقاً كبيراً يركبه خلق صغير، ليس إلا السماء والماء, إن ركد أحزن القلوب، وإن ثار أزاغ العقول، الناس فيه كدودٍ على عود, الداخل فيه مفقود، والخارج منه مولود، إن مال غَرِق, وإن نجا بَرِق – يعني: فَزِع مبهوتاً – ، فكتب عمر إلى معاوية:

(لا والذي بعث محمداً بالحق، لا أحمل فيه مسلماً أبداً, وتالله لمسلمٌ واحد أحبُّ إلي مما حَوَتِ الروم، فإياك أن تعرض مسلماً للهلاك وقد تقدمت إليك – يعني بالأمر – والسلام)[2].

---

(1) حديث: «لا يؤمن أحدكم.....» أخرجه البخاري في "صحيحه" برقم (13), ومسلم في "صحيحه" برقم (179).

(2) أخرجه الطبراني في "تاريخه" 4/258-259.

إنه شيء من حبِّ المسلم لمن وراءه من رعيته.

أيها الإخوة:

إنّ الإسلام بسط الحب في أرجاء الأرض وهذه بعض صوره:

حب الله، حب رسول الله ﷺ ، حب المسلمين، حب الزوجة، حب الأبناء، حب الآباء والأرحام، حب الأصحاب، حب الرعية.

أما حبُّ رجل امرأة غريبة عنه أو حب امرأة رجلاً غريباً عنها, فهو حديث الأسبوع القادم إن شاء الله.

والحمد لله رب العالمين